تـمّ تحميل هذا الملفّ من مكتبة الأديب الرّاحل رمضان لاوند | جميع الحقوق محفوظة © www.RamadanLawand.com

الأَديب و المُفكِّر الرَّاحِل

رَمَضان عَبْدِ الرَّحْمن لاَوَند

سيّد المنابر

الإسلام عند غير المسلمين

الحلقة (1)

باسم الله أبدأ ..

وفي ظل المصطفى عليه الصلاة والسلام يكون الحديث ..

وبهدى من دين الإسلام يمضي الفكر يلتمس التوفيق ..

أيها الأخوة في الإيمان ..

هذا زمان صار فيه المؤمن الحقيقي استثناء ، والتلهي عن صحيح الأديان هو القاعدة . وأصبح الإسلام معه وبات هو وغيره من الرسالات غريباً بين الأبناء مجهولاً من المعاصرين . ليس هناك غير رسالة واحدة هي رسالة الإسلام ؟ لا يعرفون منه غير الأعياد ملهاة، وصوم رمضان كسوا لروتين الطعام، والحج إلى بيت الله تيهاً وتجوالا لا توبة وغفرانا .. فإن جئت أحدهم تسأله في أمر من أمور دينه عجبت لجهله وضحالة علمه وهزال فكره، وإن دعا مؤذن إلى صلاة أو جاءه صوت ترتيل قرآن تلهى عنه .. إن كانت فيه بقية من حياء أو وجّه إلى جاره بسمة رثاء وإشفاق وكأنك تدعوه لشهود سباق بين ناقة الجمل سفينة الصحراء وصاروخ نفاث بسفينة الفضاء ..

وتألم لشباب العصر ..

وتنحى باللوم على الآباء والأمهات والمدارس والجامعات والصحف والإذاعات.

فشباب الأمس كانوا على جهلهم أكثر علماً وارتباطاً بشؤون دينهم، وآباء ما سلف من قرون كانوا مشاعل ما ورثته البشرية من صحيح الأديان وعلوم القرون الوسطى التي قامت عليها حضارة المجتمع والصناعة في العصر الحديث ..

عامة الخلق كانوا يعيشون بدينهم وفي سبيل هذا الدين . أما عامة هذا النصف اللاهي من القرن العشرين فبعضهم منتم ،مجرد منتم ولكنه لا يعرف جوهر الأديان. وبعضهم رافض يجادل في نكران وغالبيتهم حيرى بكل ما تعيشه في اليقظة والمنام وتتنفسه على الهواء من علوم العصر وماديات التفوق البشري الغلاب ..

ويتساءل المؤمن كيف نزل هذا البلاء ؟.. كيف صار الدين مظهراً لا جوهراً، ودائماً نجد أكثر من جواب..فمن قائل أن السبب مادية العصر وسيطرتها على حياة الناس.ومن زاعم أنه بسبب رجال الأديان الذين عضوا بالنواجذ على الرسالات ولم ينهلوا معها من علوم الدنيا وهي تصنع الحياة. ومن مُدّع يُرجع كل ما يصيب علاقة الإنسان بالأديان إلى معيشة العصر وما تفرضه من حاجات متزايدة لا تجد اشباعاً وما تدسه على النفس البشرية من ظمأ إلى ملاذ الدنيا أكثر مما يعايشها من زهد فيها .

ويرقب المسلم ما صار إليه حال الأديان وعصر قلبه ما يرى عليه المسلمين ويعجب أشد العجب لما أصبح فيه غير المسلمين عامة وغير المؤمنين خاصة .

ويلتمس سبباً يبرر له ما يراه من انصراف الناس عن الدين والتعمق في تكاليفه والأخذ بتعاليمه والنجاة بنواهيه، فلا يجد غير طابع العصر ساحراً للشباب المحدثين وغير انطواء عن هذا العصر من أئمة الفقه والدين .. فالشباب مقبل على الحياة الدنيا لا فرق في ذلك بين أبناء هذا البلد أو ورثة هذا الدين تشدهم رحلات الفضاء وتطويهم إباحية الجيل وتدمر فيهم تركة الإيمان ضآلة ما تقدمه المدارس من تعاليم السماء ..

ويفكر المؤمن ..

كيف يمكن أن يبدأ حديثاً في الإسلام مع شباب الذرة والصاروخ والوجودية والهيبية ومراكب السير فوق سطح القمر ؟

ويرهق المسلم عقله بحثاً عن قارعة يدخل بها مع الإسلام إلى عقول شباب جيل الثلث الأخير من القرن العشرين ..

وسط كل ما قرأ وبحث ونقب ودرس وجد في كتب بعض العلماء من غير المسلمين ما يصلح باليقين مشكاة تضيء له الطريق نحو عرض لبعض جوانب الإسلام والمسلمين يهدف بها أول ما يهدف إلى خلق وعي ديني بأسلوب العصر الحديث يثير به انتباه شباب هذا الجيل إلى رسالة محمد عليه الصلاة والسلام .

فأبناء العصر الذين عاشوا حياتهم يقتاتون علومهم من هيجل صاحب النظرية المادية الجدلية لماركس، ويحفظون دواوين قصة التطور والنشوء والارتقاء، ويعجبون بأينشتاين واضع نظرية النسبية، ويجلون روسو وشكسبير وبتهوفن باديسون وغراهام بل ومفجر الذرة في هذا الكون .

أبناء هذا العصر يرفضون ابتداء أن تثقل لهم الأسماع بحديث من عند مالك أو درس للشافعي أو موقف لأبي حنيفة أو حتى قضية علمية طرحها الفارابي، فهم من فرط ما تعلموه لا يتصورون فضلاً لغير الأجانب وعلماً لغير العرب وتبجيلاً لغير المسلمين فإنك ما أن تطرح عليهم إسماً أجنبياً حتى ولو كان لداعر فاسق أو لص مارق وجدتهم يستديرون إليك بأكثر مما يملكون من أسماع والتوقير يبدو في عيون أكثرهم تقديساً وتأليهاً ،واللهفة على سماع حقائق علمية أشبه ما تكون بلهفة أوائل الصديقين الى معجزة خارقة أو آية مصدقة من عند السماء ..

واستغفر الله ما شئت .. فتنكر الشباب لكل ما هو عربي إسلامي قديم أو عصري واقع غالباً وحقيقة سائدة .. فهذا هو طابع العصر مهما عجبت ورفضت واستنكرت ..

لقد قالوا قديماً : لا كرامة لنبي في وطنه ..

ومع الزمن وسنواته والعصر ومنجزاته والعرب عامة والمسلمون خاصة لا يمسكون منها بناحية، تقرع سمعك حكمة أعمق مراراً لا كرامة .. لا كرامة .. لا كرامة ..

من هذه القارعة حرصت أن أبدأ ..

وبالتحدي لقسوتها استقر الفكر ..

وبالمرور من فتحتها الضيقة كشق الإبرة يجب أن ننطلق .. فعلى فيض من غير المسلمين يكون المدخل إلى حديث طويل عن الإسلام والمسلمين فيه من العلمية المعاصرة وعلمانية البحث وحشد الأسماء الأجنبية ما أرجو أن يغري شباب

العصر بالاتصالات والتفكير والبحث العميق ما يصل بهم آخر الأمر إلى محاولة تدبير عصر جديد للإسلام وعز مشرق للمسلمين .

أيها الأخوة .....

هذه مقدمة – لا بد منها – لأحاديث عن الإسلام والمسلمين كما خبره وحلله وأرخ له نفر كثير من مختلف الملل والنحل .. منهم الفلاسفة وفيهم المؤرخون وبينهم أئمة وأقطاب يؤمنون بمذاهب دنيوية أو رسالات سماوية والجميع على اختلافهم من المتعمقين في كثير من العلوم والفنون، بعضهم أجلّ الإسلام في موضع أو موضعين وأكثر، والبعض الآخر منهم كان المصطفى عنده نبياً تماماً مثل المسلمين .. فمارتين شاعر فرنسا العظيم يقول: إنّ محمداً أقلّ من إله وأعظم من إنسان ،أي أنه نبي . وليمون المستشرق الفرنسي الكبير يقول : حسب هذا الكتاب تقديساً وخلوداً أن القرون الأربعة عشر التي مرت عليه لم تستطع أن تجفف ولو قليلاً من أسلوبه الذي لا يزال نقياً كأن الأمس فقط هو عهده بالوجود.

وهور جرونج المستشرق الهولندي يقول: " إن الإسلام بفضل ترفعه قد وجد وسيلة صعد بها إلى مكانة رفيعة رأى منها ما هو أبعد من آفاقه الخاصة .. بمعنى أنه اشتمل على خاصة دولية الدين " ..

هذه نماذج قليلة من أراء علمية غزيرة سردها المتعمقون غير المسلمين من الفلاسفة والعلماء والمفكرين نعرضها على أسماع هذا الجيل ضمن حديثنا عن الإسلام عند غير المسلمين .. نقرع بها آذان الشباب بحقيقة الدين كعبادة، وبجوهر الإسلام كخلق، وبطاقة المسلمين كمبدعين لدينهم، وإنّ من الرسالة المحمدية ما يستطيع أن يدفع عجلة البشرية فوق سطح القمر ..

والله الموفق .... الله المعين ....